

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعْطِي بِفَضْلِهِ، الْمَانِعِ بِعَدْلِهِ، الْقَائِلِ فِي فَضْلِهِ: ﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (١)،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَعْظَمَ الْخَلْقِ
فِعْلًا وَأَحْسَنُهُمْ كَلِمَةً، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزَّةِ وَالْهَيْمَمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، -عِبَادَ اللَّهِ-؛ تَقْلِحُوا، وَافْعَلُوا الْخَيْرَ تَنْجَحُوا ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ
تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢).
عِبَادَ اللَّهِ:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٣)، فَلَا تَجِدُ شَيْئًا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْحَيَاةُ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقُرْآنِ
بَابٌ، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ شَيْءٌ تَضُنُّكَ بِهِ الْحَيَاةُ إِلَّا وَالْقُرْآنُ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا عَجَبٌ؛ فَالْقُرْآنُ رِسَالَةٌ
لِلَّهِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَخِطَابُهُ الصَّالِحُ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمُخَاطَبُ مُطَالِبًا بِتَدْبِيرِهِ مِنْ
غَيْرِ انْقِطَاعٍ، وَالْغَوْصِ فِي مُحِيطِهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سَاحِلٌ وَلَا قَاعٌ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ كَذَلِكَ،
وَكَانَ مَسْلُكُهُ نِهَايَةَ الْمَسَالِكِ وَغَايَةَ السَّالِكِ، قَالَ مُنْزَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُبَيِّنًا حِكْمَةَ أَنْزَالِهِ، وَمُظْهِرًا
سِرَّهُ فِي تَفْصِيلِهِ وَإِجْمَالِهِ: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٤)، وَلَمَّا
كَانَتْ عَجَائِبُهُ لَا تَنْقُضِي، وَأَسْرَارُهُ لَا تَنْتَهِي، وَخَيْرَاتُهُ وَافِرَةٌ، وَبَرَكَاتُهُ ظَاهِرَةٌ، تَجِدُ الْمَوْسَسَاتِ
الْمَرْمُوقَةَ، وَالْجَامِعَاتِ الْعَالِيَةَ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا لَا تَجِدُ سَبِيلًا أَمَامَهُ إِلَّا التَّسْلِيمَ،
وَذِكْرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ، وَلَنْ نَجِدَ قَوْلًا فِي عَجَائِبِ أَسْرَارِهِ، وَكَثْرَةِ حِكْمِهِ وَعَظْمَةِ
أَحْكَامِهِ، أُبْلَغَ مِنْ قَوْلٍ مَنْ أَنْزَلَهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِيهِ: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

(١) سورة النساء / ٣٢.

(٢) سورة الأنفال / ٢٩.

(٣) سورة الإسراء / ٩.

(٤) سورة ص / ٢٩.



نَفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١﴾.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنَ الْآيَاتِ الْبَالِغَةِ الَّتِي تُنظِّمُ حَيَاةَ الْبَشَرِ، وَتُهَذِّبُ النُّفُوسَ، وَتَصْقِلُ الْقُلُوبَ، وَتَبْعَثُ عَلَى الْهِمَّةِ، وَتَنْدُبُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى الْقِمَّةِ، وَتَجْعَلُهُ سَلِيمَ الصِّدْرِ، وَتَرْفَعُهُ لِيَكُونَ جَلِيلَ الْقَدْرِ، قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٢)، تَعَالَوْا بِنَا - يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ - نَنْظُرْ إِلَى تَجَلِّيَاتِ كَرَمِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَمِنْ آثَارِ غِنَاهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ مُتَقَاوِتِينَ، وَجَعَلَهُمْ غَيْرَ مُتَشَابِهِينَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَصْنَعُ أَلْفَ مِصْبَاحٍ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ وَقُوَى مُتَقَاوِتَةٍ، هُوَ أَرْسَخُ قَدَمًا وَأَعْظَمُ اخْتِرَاعًا مِمَّنْ يَصْنَعُ مِصْبَاحًا وَاحِدًا ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْحَيَاةَ لَا تَسْتَمِرُّ إِلَّا بِهَذَا الْاِخْتِلَافِ فِي الْمَوَاهِبِ، وَلَا تَكُونُ حَيَاةً إِلَّا بِهَذَا التَّنَوُّعِ فِي الْعَطَايَا، وَمَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَقَدْ سَخَّرَهُ اللَّهُ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، فَالْحَاكِمُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَحْكُومٍ، وَالْمَحْكُومُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حَاكِمٍ، وَالْغَنِيُّ لَا تَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُ إِلَّا بِوُجُودِ الْفَقِيرِ، وَالْفَقِيرُ لَا تَسْتَقِيمُ حَيَاتُهُ إِلَّا بِوُجُودِ الْغَنِيِّ، وَالرَّجُلُ لَا تَسْتَمِرُّ حَيَاتُهُ إِلَّا بِوُجُودِ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَسْتَمِرُّ حَيَاتُهَا إِلَّا بِوُجُودِ الرَّجُلِ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٤)، وَلَمَّا كَانَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْعِبَادِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، نَهَاهُمْ أَنْ يَتَمَنَّى بَعْضُهُمْ عَيْنَ مَا فِي يَدِ بَعْضٍ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا مُفْضَلًا بِشَيْءٍ فَقَدْ فُضِّلَ الْآخَرُ بِشَيْءٍ آخَرَ، وَعَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا فُضِّلَ بِهِ، وَيُقْتَشِرَ عَمَّا خُصَّ بِهِ،

(١) سورة الكهف/ ١٠٩.

(٢) سورة النساء/ ٣٢.

(٣) سورة النحل/ ٦٠.

(٤) سورة الزخرف/ ٣٢.



وَمَنْ كَانَ صَادِقًا فِي الْبَحْثِ وَالتَّفْتِيْشِ، فَسَيَجِدُ نَفْسَهُ أَمَامَ قَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَائِهِ، وَاسْتَزِيدُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ؛ فَإِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الْكَرِيمُ، وَعَطَاءُهُ هُوَ الْعَطَاءُ الْعَظِيمُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَاوَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -؛ وَتَمَرُّوا مَوَاهِبَكُمْ فِي التَّنَافُسِ فِي عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَهَذَا الْبَابُ مَفْتُوحٌ أَمَامَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالشُّبَّانِ وَالشَّبَابِ؛ فَإِنَّ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةَ وَالْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةَ، لَا تَعْرِفُ رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا، بَلْ قَانُونُهَا ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ (٢)، وَمِمَّا مَيَّزَتْهَا ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ ﴾ (٣)، وَشَرَطُ السَّعْيِ لِتِلْكَ الدَّرَجَاتِ وَالصُّعُودِ إِلَى تِلْكَ الْمَقَامَاتِ ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٤)، وَلَئِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ مِنْهِيَ عَنِ تَمَنِّي عَيْنٍ مَا عِنْدَ الْآخِرِ، فَقَدْ كَانَ مَنْدُوبًا إِلَى سُؤَالِ مِثْلِ مَا عِنْدَ الْآخِرِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ؛ فَعَطَاءُ اللَّهِ لَيْسَ مِثْلَهُ عَطَاءً، وَمَنْعُهُ عَطَاءً ﴿ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٥)، فَمَنْ أَعْطَى غَيْرَكَ قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِكَ، وَمَنْ فَتَحَ لِعَيْرِكَ قَادِرٌ عَلَى الْفَتْحِ لَكَ، وَمَا كَانَ لِيُوصَدَّ بَابُ الْوَهَابِ، فَمَنْ وَقَفَ بِالْبَابِ، رَجَعَ مِنْ

(١) سورة النحل/ ١٨.

(٢) سورة النساء/ ٣٢.

(٣) سورة الحجرات/ ١٣.

(٤) سورة النجم/ ٣٢.

(٥) سورة النساء/ ٣٢.



عِنْدِهِ بِخَيْرٍ جَوَابٍ؛ أَلَمْ يَأْمُرَكَ بِالدُّعَاءِ وَيَعِدُّكَ بِالْإِجَابَةِ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) أَلَمْ يُخْبِرَكَ بِالْقُرْبِ لِتَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبِ الَّذِينَ يَدْعُونَ فَيُجَابُونَ، وَيَعْمَلُونَ فَيُثَابُونَ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢)، وَمَا طَلَبُ الطَّالِبِ مِنْ مُلْكِ الْمَطْلُوبِ؟! (يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ سَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي شَيْئًا!).

هَذَا وَصَلُوا وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارِضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ سُلْطَانَنَا قَابُوسَ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا تَرْجُوهُ لَهُ النُّفُوسُ، اللَّهُمَّ ضَاعِفٌ لَهُ أَجُورَ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُ كُلَّ خَطَاٍ وَرَزَلِ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَانكسر شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.



(١) سورة غافر / ٦٠.

(٢) سورة البقرة / ١٨٦.

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

